مقـــدمة

اليوم أقدم لهـذا الجيل ، ثم الأجيال المقبلة من بعده ، صفحة من تاريخ مصر ، فى حقبة من الزمن ، لم أشأ أن أطوى الحياة فيها سدى ، وأن أشهد حوادثها تجرى سراعا ، دون اثباتها وتسجيل أدوارها ، وما أدركت من وقائعها . فقيدت شواردها فى بطون هذه المذكرات ، التى شغل تدوينها فراغا عزيزاً من حياتى ، وأودعتها سجلا حافلا لمجرى الحوادث والشئون فى هذا العهد ، وكثيراً من خواصه وذكرياته .

ولقد قدر الغربيون المذكرات قدرها ، فاعتبروها فرضاً على الجيـل القائم نحو الأجيال المقبلة ، وناحية هامة فى تدوين التاريخ ، وجزءاً متمما له ، ربما كان أصدق أجزائه . ذلك أنها سجل للحوادث يتتبع سيرها الطبيعى ، فيقيدها كما وقعت وشوهدت دون رأى أو تعليق خاص ، ودون شهوة أو غاية شخصية . فاذا ذهب ذلك العهد وتعاقبت عليه السنون ، ألفى التاريخ الحق فى هذه المذكرات مادة نفيسة تؤمن شواهدها ودلائلها ، وأمكن استخراج الحوادث من بطونها غضة نقية من شوائب الغرض والهوى .

ولقد دفعتنى الى تدوين هـذه المذكرات عوامل كثيرة ، كان بعضها كامنا فى نفسى ، والبعض الآخر هيأته الظروف التى أحاطت بى . وكل عامل منها يكفى بذاته لأن يدفعنى الى تسطيرها . فلما اجتمعت زاد الاهتمام بها فى نفسى ، ولا سيما أننى كنت أشعر منـذ الحـداثة بشغف قوى الى تدوين مذكرات يوميـة عن دراستى وأحوالى ، وما أستطيع إدراكه ومشاهدته . وكان طبيعياً لانسان فطر على هـذا الميل أن يهوى التـاريخ وأن يشغف به . ولذا كانت دراسته ومطالعته أحب الأشياء الى نفسى ، إذ كانت تلقى فيها أهبة لاستيعابها ، خصوصاً بعد ان درست العلوم السياسية فى باريس . وقـد دفعنى الى دراستها شعـور وطنى يتصل بلا ريب بمجرى الحـوادث الخطيرة التى كانت تتعاقب يومئذ على مصر .

ولعلها حكمة لم أدركها ، وان كنت أعتقد أنهـا كانت أكبر عامل فى تغذية ميولى وتفتح غرائزى ، أن هيأ لى القـدر السعيد أن أكون منذ نشأتى الأولى قريباً من ولى الأمر فى البلاد ، وأن أتاح لى أن أكون موضع عطف خديوى ، ثم موضع ثقة خديوى ،

وأن أقف بطبيعة الحال على مجرى الحوادث ومصادرها ، ومبعث أطوارها وتقلباتها ، متدرجا فى ذلك من عهد الفتوة الى عهد الكهولة وكلما انقضى عام بل شهر تفتحت لى من الحوادث أبواب ، واستطعت أن أستخلص منها صحفاً جلية فى شئون مصر وأحوالها .

ولم يكن ليثنينى عن تدوين هذه المذكرات عمل ولا لهو ، وما كانت مشاغلى الخاصة لتحول بينى وبينها ، بعد أن غدت جزءاً لا يتجزأ من برنامج حياتى . فكنت أدونها أثناء الدراسة بين كد الدرس والمذاكرة ، ولا أفتر عن تقييدها أثناء أسفارى خارج مصر سواء للمهام أو الرياضة . ذلك أن تدوينها كان فى ذاته سلوى لى ، لأنه يتصل بعامل خفى فى نفسى ، هو الشغف بتسطيرها ثم استجناء مسرة استعراضها ، وما آنسه فى ذلك من لذة معنوية .

وقد جرت العادة ألا ينشر مثل هذه المذكرات إلا بعد وفاة صاحبها . وربما يلوح غريباً أن أتولى بنفسى نشر مذكراتى . بيد انى خشيت تناثرها بعد وفاتى ، أو نشرها مشوهة مبتورة . ثم إن فيها ما يتعلق بشخصيات ما زالت على قيد الحياة ، فاذا نشرت اليوم كان ثمة مجال لفحصها ونقدها إن كان محل للنقد . كما أنه كان من الشجاعة الأدبية أن تنشر مذكرات فى حياة مدونها فيحتمل — وهو على قيد الحياة — كل تبعة فيما تسجل من الحوادث والشئون

هذا ولست أدعى أننى أقدم بهذه المذكرات مادة كافية لصوغ تاريخ مصر الحديث فى العهد الأخير ، فان هذه المادة تتكون أيضاً من نواح كثيرة أخرى ، ومن وثائق رسمية شتى غير ما دونت ، ومذكرات لرجال قاموا فى حوادث هذا العهد بأدوار خطيرة ، وكان لهم أثر يذكر فى سيرها وتطوراتها . ولكن الذى أستطيع أن أدعيه هو اننى أقدم بمذكراتى شطراً من هذه المادة ، مؤكداً للقارىء انى تحريت فى تدوينها أقصى ما وسعت من الدقة والتحقيق والصدق . فان جاءت روايتى ، فى واقعة ما ، غير مطابقة لما قد يتبين من تمحيص الروايات والوثائق المختلفة عن تلك الواقعة بذاتها ، فلست أدعى العصمة . ولكننى أترك للقارىء أن يقدر مبلغ إخلاصى فى تدوينها ، وتحررى من كل غاية فى تسجيلها

وتقع هذه المذكرات فى ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول : من أواخر عصر « **اسماعيل** » إلى وفاة « **توفيق** » . والثانى : عهد « **عباس الثانى** » خاتم الخديويين . والثالث : « **عباس الثانى** » والحرب العظمى

وتتضمن جميع هـذه الأجزاء صوراً كثيرة ، فيها النادر والذى لم يسبق نشره ، للأشخاص والمناظر ، حقيقية ورمزية ، للمناسبات التى تتحدث عنها المذكرات . سواء كانت مناسبات تاريخية ، أو شخصية ذكرت لطرافتها ودفع السأم والملل عن القارىء المتقصى . ولعلى أكون قد أرضيت قرائى . أما الحق والواجب فانى أشعر باطمئنان ضميرى من ناحيتهما . والله ولى التوفيق

احمد شفيق